PROCEEDINGS

The 8th International Symposium On Comparative Literature

Power and the Role of the Intellectual

22-24 November, 2005

Editor:
Salwa Abdel-Aziz Kamel

Assistant Editors:
Hoda Shaker Gindi
Malak Mohammed Hashem

Department of English Language and Literature
Faculty of Arts, Cairo University, Egypt
2006

بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته

عماد عبد اللطيف

ملخص

تحاول هذه الدراسة اقتراح مشروع لتطوير الدراسات البلاغية العربية المعاصرة. عالجت الدراسة التوجهات الأساسية للدراسات البلاغية العربية، واقترحت أساسا لتصنيفها استنادا إلى محددات ثابتة هي مادة العلم وموضوعه ووظيفته، وعرضت للمشكلات التي تواجهها هذه التوجهات، وكيف يقوم المشروع المقترح بمعالجتها. قدمت الدراسة تعريفا أوليا بالمشروع الذي تقترحه، وهو تأسيس توجه معرفي في البلاغة العربية مادته الخطابات البلاغية الجماهيرية، وموضوعه دراسة الكيفية التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق الإقناع والتأثير وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب. ووظيفته تقديم معارف وأدوات للمخاطب تمكنه من مقاومة الخطابات البلاغية السلطوية. وقد أطلقت على هذا التوجه اسم "بلاغة المخاطب". وعرضت للأصول النظرية التي يقوم عليها، والمقاربات التي يفيد منها، وبعض مبادئ ممارسته، ولائحة بالموضوعات التي أقترح أن تدرس في إطاره.

كلمات مفاتيح: البلاغة العربية- بلاغة المخاطب- البلاغة الإنشائية- الخطاب السلطوي- بلاغة السلطة- سلطة البلاغة.

مقدمة

يتعرض المواطن العربي المعاصر لأشكال وأنواع مختلفة من الخطابات العامة، يتباين منشؤوها والوسائطُ المستخدمة في نقلها ووظائفُها ومدى فاعليتها. فهناك خطاباتٌ دينية وسياسية وإعلامية ودعائية. قد تستخدم وسائط مرئية مثل الصحف أو الكتب أو اللافتات، أو وسائط مسموعة مثل شرائط الكاسيت والإذاعة، أو وسائط مسموعةً مرئيةً مثل التليفزيون والسينما

والإنترنت. تتنوع وظائف هذه الخطابات بتنوع أغراض منشئيها وسياقات تداولها. كما تتنوع كذلك أشكال الاستجابة لها والآثار التي تحدثها. مع ذلك تشترك هذه الخطابات في مجموعة من السمات؛ أولا: أنها خطابات لغوية، قد تشترك في تكوينها أنظمة سيميوطيقية أخرى مثل الصورة والحركة و الإشارات والموسيقى ولكن النظام اللغوي يظل، غالبا، هو الأساس. ثانيا:أنها خطابات بلاغية؛ فهي آنية براجماتية، تستهدف تحقيق الإقناع أو التأثير أو كليهما. وكونها خطابات بلاغية يعني أن وظيفتها تتجاوز مجرد الإخبار إلى الإقناع والتأثير فهي، إضافة إلى توظيفها للعناصر اللغوية(الصوت، بنية الكلمة، التركيب..إلخ) توظف ظواهر بلاغية مثل الحجاج ووسائل الإقناع،والسرد لتحقيق وظائفها. وأنها تستعين بأنظمة سيميوطيقية غير لغوية مثل الأنظمة الإشارية والأنظمة الرمزية غير اللغوية والصور والموسيقى..إلخ. ثالثا: أن هذه الخطابات تُنتج وتُستهلك في مجتمع له موقف خاص من الكلمة؛ فهو يقدسها على المستوى الديني ولا يكاد يأبه بها على المستوى الاجتماعي، يعيش ازدواجية عميقة بين لغة كلاسيكية يقدسها ولا يستخدمها إلا في سياقات رسمية، ولغة عامية يستهجنها على المستوى النظري ويستخدمها عمليا في معظم شئون حياته. مجتمع يرى بعضُ أفراده في الكلمة قوة يحوزون بها ما يريدون. ويرى فيها آخرون قوة يفقدون بسببها حرياتهم وربما وجودهم. وأخيرا مجتمع يقيم علاقة خاصة بين لغته وعالمه؛ ففي الوقت الذي يَحظر فيه الكلام عن موضوعات متداولة، وتجارب إنسانية معاشة، ويعاقب من ينتهكُ هذا الحظر، يؤسس عوالم منمقة لا توجدُ إلا داخل اللغة، ويحاول فرضها على الواقع. رابعا: أنها لا تكاد تدرس درسا علميا وإنما تترك لتفعل. وهو ما يعني أنها لا تخضعُ للمراجعة والنقد اللذين ينشآن عن الفهم والتحليل. إن ظواهر بلاغية مثل خطب الدعاة الجدد والمناظرات السياسية والملصقات الدعائية في الشوارع، وخطب المسئولين السياسيين، وإعلانات الصحف والإذاعة والتليفزيون، ونداءات الباعة الجائلين، والمحاورات في المجالس النيابية، والسجالات اللفظية على جدران الشوارع ومدرجات الدراسة وأبواب دورات المياه العمومية، والمواقع المؤسساتية والشخصية على الشبكة الدولية للمعلومات، كل هذه الخطابات على الرغم من أنها خطابات بلاغية وأنها تمارس تأثيرا هائلا في المجتمع المعاصر فإنها نادرا ما تدرس دراسة بلاغية؛ أي دراسة تُعنى بالكيفية التي يتم بها استخدام اللغة لتحقيق أغراض منشئيها. بل إنها لا تدرك من قبل غالبية المتخصصين في البلاغة العربية بوصفها خطابات بلاغية.

وهو ما يرجع إلى أسباب عديدة مركبة منها: انفصال الدراسات اللغوية والبلاغية الأكاديمية، في أقسام اللغة العربية خاصة، عن الواقع المعاش، وانحسار اهتمامها في اللغة العربية الكلاسيكية وبلاغتها، وافتقاد مناخ الحرية الأكاديمية. وغيرها من الأسباب التي تؤدي جميعا إلى الانصراف عن دراسة الخطابات البلاغية العامة في المجتمع الأكاديمي المعاصر.

البلاغة العربية: إعادة تصنيف

في تعليقهما على مقال لمصطفى ناصف بعنوان" بين بلاغتين" يذهب سعد مصلوح وحمادي صمود إلى أنه فيما يتعلق بالبلاغة (العربية) بوصفها علما فإنه توجد بلاغة واحدة (ناصف١٩٩٠: ٤١٣،٤١٤)، وذلك في مقابل أطروحة ناصف الذي يرى أنه توجد بلاغتان متعارضتان. يتصل هذا الجدل بواحدة من المسائل التي لم تحظ باهتمام حقيقي من دارسي البلاغة العربية؛ أعني مسألة التصنيف. قليلة هي التصنيفات التي عنيت بالتمييز بين التوجهات أو المدارس أو المنظورات المختلفة في إطار ما يعرف بالبلاغة العربية. ويبدو هذا القليل، مثل دراسة ناصف السابق الإشارة إليها، مفتقدا إلى حد كبير إلى أسس إبستمولوجية واضحة للتصنيف. وسوف أتوقف، قبل الشروع في تقديم التصنيف الذي أقترحه، عند أكثر هذه التصنيفات تماسكا، وهو وإن كان أقدمها إلا أنه أكثرها تأثيرا. ميز أمين الخولي (١٩٣٠:٦، ٩٦-٩٧) بين توجهين في البلاغة العربية القديمة؛ أطلق على الأول: المدرسة الكلامية، التي "تتميز بالتحديد اللفظي والروح الجدلية، والحرص على القاعدة مع الإقلال من الشواهد الأدبية، والاعتماد على المقاييس الفلسفية..والقواعد المنطقية.. وتعنى أولا وأخيرا بإعجاز القرآن. والثانية: المدرسة الأدبية؛ وتتميز بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية..مع الإقلال من التعاريف والقواعد والأقسام والاعتماد في التقويم الأدبي على الذوق الفني، وحاسة الجمال أكثر من الاعتماد على الفلسفيات المختلفة والمنطقيات..وتعنى بالتكوين الأدبي، والتمرين على صناعة الجيد من الكلام". ويرى الخولي (١٩٩٠ :٩٨) أن هذا التقسيم يبين "لنا الصورة العامة ، بخطوطها الكبرى، للبحث البلاغي على اختلاف الأزمنة". يبدو التقسيم الذي طرحه الخولي حديا بشكل كبير، على الرغم من أن المعايير التي يحتكم إليها غير محددة هي ذاتها. يمكن القول إن الخولي قد قدم تصنيفه وفقا لمعيار القلة/الكثرة. ف"المدرسة الكلامية

" تتميز بالإكثار من التعاريف والقواعد..إلخ، والإقلال من الشواهد..إلخ، أما" المدرسة الأدبية" فهي تتميز بالإقلال من التعاريف والقواعد..إلخ، والإكثار من الشواهد..إلخ. دون أن يحدد الخولي الدرجة أو النسبة التي تكتسب عندها ظاهرة ما صفة الكثرة أو القلة. إضافة إلى أن الكثير من معايير التصنيف(مثل الذوق الفني، وحاسة الجمال..إلخ) غير محددة مفاهيميا، وبذلك لا يمكن الارتكان إليها كمحددات للتصنيف. وأخيرا، انطوى التصنيف على تضارب داخلي بين معايير التصنيف التي تميز مدرسة ما والمؤلفات الفعلية التي تمثلها. فعلى سبيل المثال، ذهب الخولي إلى أن المدرسة الكلامية"تعنى أولا وأخيرا بالقرآن الكريم" ثم ذكر أن أصل هذه المدرسة هو كتاب السكاكي' مفتاح العلوم'. بينما يذهب السكاكي نفسه (المفتاح ٣، ٤،٥) إلى أن كتابه هو مصنف في 'علم الأدب' الذي غايته "الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب". وهو ليس مؤلفا في إعجاز القرآن أو معانيه أو تفسيره، أو مشكله، أو غريبه..إلخ. ولا يحضر النص القرآني إلا في سياق الاستشهاد. وقد ختم السكاكي كتابه بفصلين أحدهما في العروض، والثاني في القافية.

نقترح، في هذه الدراسة، تصنيفا جديدا للبلاغة العربية، يستهدف التمييز بين 'التوجهات البلاغية' استنادا إلى معايير ثلاثة. هذه المعايير هي: ١) المادة التي يختص التوجه البلاغي بدراستها، ٢) الموضوع الذي يعالجه التوجه البلاغي، ٣) الوظيفة التي يسعى التوجه البلاغي لإنجازها. وكما هو الحال في تصنيف الخولي فإن هذا التصنيف يمثل خطوة إجرائية تندرج في إطار اقتراح تطوير للبلاغة العربية. فهو أشبه بتصنيف موجه. ومن ثم فإننا لا ندعي أنه يقدم محددات للفصل بين التوجهات بل للتمييز بينها.

يمكن التمييز، وفقا للمعايير السابقة، بين ثلاث بلاغات رئيسية، الأولى: البلاغة القرآنية؛ مادتها القرآن الكريم، وموضوعها الأبعاد البلاغية للقرآن الكريم، ووظيفتها التعليلُ لإعجازه البلاغي، والمشاركةُ في تفسيره. الثانية: البلاغة الأدبية؛ مادتها النصوص الأدبية شعرا ونثرا، وموضوعها الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية ، ووظيفتها استخلاص الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية وتحليلها، الثالثة: البلاغة الإنشائية؛ مادتها اللغة المستخدمة في الحياة اليومية لتحقيق الإقناع أو التأثير، وموضوعها إنتاج الكلام البليغ، ووظيفتها وضع معايير للكلام

البليغ، ووضع إرشادات تمكن المتكلم من إنتاجه. ارتبط البحث في بلاغة القرآن بظروف مجتمعية خاصة وكان على دارسيها أن يعالجوا مشكلين أساسيين؛ الأول: لماذا جاء النص القرآني على النحو الذي جاء عليه، وما سر إعجازه البلاغي. وهو بحث في ماهية الإعجاز ومظاهره. والثاني: كيف يمكن أن تكون البلاغة أداة مساعدة في فهم مقصود المتكلم(الذات الإلهية)، أو في تدعيم تفسير/تأويل معين، وهو بحث في إنتاج المعنى. بزوال الظروف المجتمعية الباعثة على نشأة العلم وتطويره ، وإعلان إغلاق باب الاجتهاد، لم يعد ثمة تحديات يواجهها دارس البلاغة القرآنية. وعلى كثرة التأليف في البلاغة القرآنية فإنه يمكن القول إن المؤلفات العربية الحديثة في معظمها مؤلفات استعادية غايتها اجترار أقوال القدماء وتقديمها بوصفها فصل الخطاب، وهي بذلك لا تشكل حقلا معرفيا مستقلا، وإنما يمكن إلحاقها بدرجة أو أخرى بكتابات الشروح والحواشي و التلخيصات والتعليقات والتعقيبات التي انتشرت في القرون السابقة على ما يعرف بالعصر الحديث. وهو ما يعني أن معظم دراسات البلاغة القرآنية الحديثة والمعاصرة تنتمي إلى تاريخ علم البلاغة، وليس إلى علم البلاغة.

وجهت المؤسسات الدينية الأكاديمية(مثل جامعة الأزهر) معظم اهتمامها إلى البلاغة القرآنية على عكس المؤسسات المدنية التي انشغلت إلى درجة كبيرة بالبلاغة الأدبية. وعلى مدار قرن من الزمان تراكمت مئات الكتب والمقالات والرسائل الجامعية التي تعنى بالبلاغتين. ولأن المؤسسة الدينية كانت مخلصة تماما للتراث القديم فقد تحولت البلاغة القرآنية، بعد أن فقدت وظيفتها، إلى تاريخ للعلم لا يعي طبيعة ذاته، بينما أخلصت المؤسسة الأكاديمية المدنية، إلى حد ما، للوافد الغربي الذي دفع دارسي البلاغة الأدبية إلى إلحاقها بفرع من فروع الدراسات الأدبية هو الأسلوبية مستعينين باستعارة الحفيدة والجدة، أو إلى تحويلها، بعد بعض التعديلات، إلى مستوى من مستويات النقد الأدبي هو النقد اللغوي، مع الاحتفاظ بجزء من قائمة مصطلحاتها ومفاهيمها، أو إلى التعامل معها بوصفها علما ميتا ينبغي ألا يُدرس أو يدرَّس إلا بوصفه تراثا بائدا، وإن ظل هذا التوجه، في أغلب الأحوال، غير معلن بشكل كامل . وفي الحالات الثلاث تخلت البلاغة الأدبية عن استقلالها بموضوعها ومشروعية وجودها علما مستقلا بالتبعية.

من الضروري أن نتفهم موت الجدة وأن نعلنه. فالبلاغة الأدبية القديمة كانت معنية بالخصائص اللغوية لنصوص أدبية مغايرة لنصوص هذا الزمان، ولأغراض تختلف عن أغراض ناقد هذا الزمان.

تبدو استعارة الجدة-الحفيدة غير بريئة تماما؛ فقد أتاحت فرصة ذهبية للقانعين بالتأليف الاجتراري في أن يضعوا لافتة جديدة على أنشطتهم الاجترارية، وهكذا سوف يصبح من الطبيعي أن تصدر عشرات الكتب والرسائل الجامعية التي لا تقدم سوى قوائم منفصلة بالظواهر البلاغية في نص ما تحت عنوان" دراسة أسلوبية"، كما أتاحت للوافدة الغربية (الأسلوبية) فرصة ذهبية لاكتساب أرض جديدة في بيئات محافظة(على القديم بالطبع) بعد أن ارتدت قناع الجدة. وهكذا أصبح من المحتمل أن يكون دارسو الأدب في جامعة الأزهر وكلية دار العلوم، على سبيل المثال، هم الأكثر انشغالا بالحفيدة. وقد حاولوا باستماتة الفوز بالحسنيين؛ أي تقديم دراسات بلاغية تحت لافتة الأسلوبية، وهو ما حقق لهم ، بضربة واحدة، رفع شعار التجديد والاحتفاظ شبه الكامل بالممارسات البلاغية القديمة. إن مكمن الخطورة في الممارسات السابقة ليس في إجهاض احتمال الإفادة من الأسلوبية فحسب، بل في تأجيل الاعتراف بفقدان البلاغة الأدبية لموضوعها، لصالح علوم أخرى قد تكون الأسلوبية من بينها.

تنفرد البلاغة الإنشائية من بين هذه البلاغات باهتمامها بالخطاب البلاغي في الحياة اليومية، وهو ما يجعل من الضروري تقديم تحليل شامل لممارساتها. يمكن تجريد الممارسات الأساسية للبلاغة الإنشائية، والممثلة فيما سُمي "البلاغة المدرسية" (الأنشطة العلمية المتمركزة حول "مفتاح العلوم" للسكاكي وتشمل شروحه وتلخيصاته وحواشيه)، وعلم إنشاء النثر، وعلم إنشاء الشعر، فيما يأتي:

1- تقديم مجموعة من الإرشادات والتوصيات للمتكلم تساعده في اكتساب وتدعيم المهارة/أو الموهبة البلاغية؛ أعني القدرة على إنتاج الكلام "البليغ". ويمكن أن نصطلح على هذه الممارسة بأنها "دروس في البلاغة التعليمية".

2- تحديد وتعريف خصائص وسمات الكلام "البليغ" وكيفيات تشكله ووظائفه وآثاره التي يحتمل أن ينتجها، ويدخل في ذلك دراسة مكونات الكلام البليغ أو ما اصطلح على تسميته ب(الظواهر البلاغية: المجاز والمحسنات اللفظية...إلخ) ويمكن أن نصطلح على هذه الممارسة ب(تنظيرات في ماهية البلاغة ومكوناتها ووظيفتها وآثارها).

3- تحليل نص بلاغي محدد، من خلال عرض مكوناته وكيفية تشكله وموقعه داخل التشكيلة الخطابية التي ينتمي إليها وتقييمه بحسب درجته من " البلاغة" بوصفها درجة افتراضية؛ وذلك استنادا إلى خصائصه اللغوية و/أو الآثار التي ينجزها و/أو التقدير الخاص للدارس، و/أو غيرها. ويمكن أن نصطلح على هذه الممارسة ب(نقد النص البلاغي).

4- دراسة مكونات الموقف البلاغي الذي يتكون من زمن الخطاب ومكانه وضوابطه الاجتماعية والظروف العامة التي يتموضع فيها، أو ما يمكن تسميته بملابسات الخطاب، والطبيعة الاجتماعية والمعرفية والإيديولوجية للمشاركين في الخطاب، والتشكيلة الخطابية التي ينتمي لها الخطاب(خطبة دينية- محاضرة سياسية- مرافعة قضائية...إلخ) و تقديم إرشادات وتوصيات للمتكلم تتعلق بكيفية تحقيق أفضل تحكم في الموقف البلاغي. ويمكن أن نصطلح على هذه الممارسة(دراسة الموقف البلاغي).

إن ممارسات البلاغة الإنشائية على تنوعها ينحصر اهتمامها في المتكلم وكلامه؛ فهي تهتم بدراسة طبيعة القدرة التي تمكنه من إنتاج الكلام البليغ، وتعنى بتطوير هذه القدرة، وتدرس سمات الكلام الذي ينتجه ووظائفه وآثاره. ويمكن القول، بناء على ما سبق، أن البلاغة الإنشائية تقدم نفسها بوصفها أداة لتحقيق أغراض المتكلم . هذه الأغراض تتمثل غالبا في التأثير على المخاطب و/أو إقناعه. هذا التأثير والإقناع كثيرا ما يكونان أداة للسيطرة على المخاطب.ولما كانت السلطة تحدد بمعيار السيطرة والتحكم (فان دايك ٢٠٠١)؛ فإنه يمكن القول، أولا: إن

بعض ممارسات البلاغة الإنشائية هي أداة تدعم سلطوية المتكلم، وتمكنه من إنجاز السيطرة والهيمنة على المخاطب. ولأن أدوات السلطة سلطوية في ذاتها فإن البلاغة الإنشائية في كثير من ممارساتها تمثل معرفة سلطوية تستبعد المخاطب من أن يكون مستهلكا لخطابها، في حين تجعله موضوعا للدراسة، مستهدفة إنجاز أو دعم هيمنة المتكلم وسيطرته عليه. ثانيا: إن بعض معايير تقويم الأداء في البلاغة الإنشائية يرتبط بدرجة كبيرة بأغراض المتكلم؛ حيث إن معيار نجاح البلاغة الإنشائية هو قدرتها على إمداد المتكلم بالأدوات اللازمة لتحقيق أغراضه من الكلام، وقدرتها على تعليل أسباب نجاح أو فشل المتكلم في تحقيق أغراضه. وعلى ذلك فإن السيطرة على المخاطب، بوصفها أهم أغراض المتكلم، تمثل التحدي الأساسي الذي تهدف البلاغة الإنشائية إلى إنجازه. ثالثا: أن اهتمام علم البلاغة بدراسة العناصر المكونة للموقف البلاغي يستهدف- غالبا- إحكام سيطرة المتكلم عليها، وتطويعها لتحقيق أغراضه. رابعا: أن المخاطب الضمني والنصي والمثالي الذي تتوجه إليه البلاغة الإنشائية ويقوم باستهلاكها هو المتكلم، أو البلاغي المعني بخطاب المتكلم.

اتهم دارسو البلاغة المحدثون البلاغة العربية القديمة بأنها تهتم بالمخاطب وأحواله وتهمل المتكلم وأحواله. ارتبط ظهور هذا الاتهام بانبثاق مشاريع ودعوات تطوير البلاغة العربية في الربع الثاني من القرن العشرين، وقد شهدت تلك الفترة ما يعرف ب"المد الرومانسي" الذي ترك آثاره على الطريقة التي نظر بها هؤلاء 'المجددون' إلى التراث البلاغي القديم. وقد أدى هذا التأثير، بمعية عوامل أخرى، إلى ظهور ثنائية المتكلم(المتفنن)/ المخاطب. وقد عُدّت البلاغة العربية القديمة منحازة إلى طرفها الثاني(المخاطب) على حساب طرفها الأول(المتكلم). على سبيل المثال يذهب الخولي(١٩٤٧ :٢٠٣) إلى أن أحد الدلائل على التواء منهج الأقدمين هو" ضبطهم القول، وقياس مقاديره بأحوال المخاطب وحده، مع أن إشارتهم في غير موضع لأحوال المتكلم كانت خليقة بأن تدخل عندهم في التقدير،وهي عندنا الخليقة بأن تنفرد وحدها بالتقدير." سوف يكتب لهذه الثنائية الشيوع والاستمرار بعد ذلك على الرغم من تراجع المد الرومانسي، وسوف تتطور من القول بالانحياز إلى المخاطب على حساب المتكلم إلى القول بإلغاء المتكلم

لحساب المخاطب. وعلى سبيل المثال يذهب عصفور(١٩٩٢:٨) إلى "اقتران البلاغة (من حيث هي علم) بالكلام من حيث قدرته على إيقاع التأثير وليس بالمتكلم، فالمتكلم ملغى لحساب المستمع-المتلقي، والكلام يتم التركيز عليه من حيث الأثر الذي يحدثه في هذا المتلقي." أما ناصف(١٩٨٨ :٣٨١) فإنه يجعل من المخاطب ما يشبه إله الدراسات البلاغية التي افترضت"أن الإنسان لا يفكر لوجه التفكير، ولا يشعر لوجه الشعور، وإنما يفكر ويشعر من أجل التأثير في مخاطب أو التغلب عليه." يبدو هذا الاتهام عادلا تماما، حيث إن البلاغة العربية الإنشائية كانت معنية بالمخاطب بوصفه الغرض الذي تستهدف السيطرة عليه. لكنها بوصفها ممارسة علمية لا تقوم بخدمة المخاطب، بل تهدف أولا وأخيرا إلى خدمة المتكلم الذي يرغب في" التأثير في المخاطب أو التغلب عليه". وعلى ذلك فإن المتكلم"الملغى" هو المحرك الأساسي لهذه الممارسة العلمية، وهو المستهلك الوحيد لها، والمخاطب"الحاضر" ليس إلا الهدف الذي يشحذ له المتكلم كلامه ليحكم سيطرته عليه، والبلاغة الإنشائية لا تعدو وفق هذا المجاز أن تكون أداة الشحذ؛ ومن الطبيعي في هذا السياق أن تكون الضحية هي مناط الاهتمام. إن دراسة موضوعات تخص المخاطب في إطار البلاغة الإنشائية تتسق مع الوظيفة التي تسعى لتحقيقها والفئة التي تعمل في خدمتها، فالمتكلم الذي يستهدف" التأثير في المخاطب أو التغلب عليه" يحتاج إلى معرفة عميقة ب"أحوال المخاطب"، وقد خصصت البلاغة الإنشائية قدرا من اهتمامها لتوفير هذه المعرفة التي تضمنت:

1- دراسة أحوال المخاطبين من حيث مكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإيديولوجية، وحالهم بين التصديق والتكذيب. وتطويع الكلام وفق طبيعة المخاطب حتى يحقق أغراضه.

2- دراسة طبيعة العلاقة بين المخاطب والمتكلم، وحدودها.

3- دراسة استجابات المخاطب المتوقعة والمرجوة في سياق محدد.

إن التحليل السابق يقود إلى نتيجة مؤداها أن البلاغة الإنشائية معنية بالمتكلم في معظم أنشطتها، بحيث يمكن أن نطلق عليها "بلاغة المتكلم".

باستثناء مشروع سلامة موسى في الربع الثاني من القرن العشرين، الذي درس فيه أثر البلاغة في تأسيس مجتمع مصري عصري أو تقويضه (موسى١٩٤٥) وبعض العبارات المتناثرة في مؤلفات مصطفى ناصف البلاغية؛ التي يدعو فيها إلى الاهتمام بحركة اللغة في نصوص الحياة اليومية (مثل: ناصف ١٩٩٥،خاصة الفصل الأخير وعنوانه"ممارسات الخطاب")، لا نكاد نجد اهتماما يذكر ببلاغة الخطابات اللغوية في الحياة اليومية من قبل دارسي البلاغة. والمحاولات السابقة لا يمكن اعتبارها علامات دالة، فقد اقتصر اهتمام سلامة موسى على ظاهرة بلاغية واحدة هي اختيار المفردات. أما دعوة مصطفى ناصف فقد ظلت مجرد دعوة لم ينهض بتحقيقها هو أو غيره. خلاصة الأمر أن الدراسات البلاغية المصرية، وربما العربية، بتوجهاتها الأدبية والقرآنية والإنشائية، وربما منذ وقت ليس بالقصير، تفتقر- إلى حد ما- إلى وضوح موضوعها وإلى تحديد وظائفها. وهي في الغالب لا تعي ذاتها جيدا، ولا تحاول تأسيس وجودها من خلال استكناه ماضيها وفحص واقعها واستشراف مستقبلها. أو من خلال إعادة موضعة نفسها داخل شبكة الحقول المعرفية المرتبطة بها، أو من خلال انفتاحها على التغييرات التي تعتري الخطابات الفاعلة في المجتمع. ولا تدرك كونها تحولت تدريجيا من نشاط علمي يمثل ممارسة اجتماعية ضرورية إلى خطاب أكاديمي منغلق على نفسه ومضطرب.

من هنا تنبع أهمية وضرورة المشروع الذي تقدمه هذه الورقة، والمتمثل في اقتراح تأسيس توجه جديد للبلاغة العربية يتجاوز مشكلات التوجهات القائمة والمتمثلة بشكل أساسي في عدم اكتراثها بالخطابات البلاغية في الحياة اليومية أو تحولها إلى ممارسة سلطوية تعزز من سيطرة المتكلم وهيمنته على المخاطب. سوف أطلق على هذا التوجه اسم "بلاغة المخاطب". وسوف تكون مادته هي الخطابات البلاغية الجماهيرية. وموضوعه دراسة الكيفية التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق الإقناع والتأثير وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب وإمكانيات تعديلها وتكييفها وصولا إلى تحقيق اتصال حر بمفهوم هابر ماس.[1] تحاول بلاغة المخاطب إعادة ترسيم حدود البلاغة العربية لتنفتح على الخطابات البلاغية للحياة اليومية، وهو ما ينتج بدوره ترسيما جديدا لحدود علاقتها مع العلوم الأخرى؛ ويجعل منها علما بينيا تتلاقى فيه علوم الاتصال و الاجتماع والأنثربولوجيا والعلوم السياسية وعلم النفس وتحليل الخطاب. وينشأ عن

ذلك تغير في إدراك الظواهر البلاغية يتم فيه إدراكها بوصفها ظواهر مجتمعية تتسم بالتعقد والتركيب، شأنها شأن بقية ظواهر المجتمع، وهو ما يفرض تطورا في مناهج وإجراءات دراستها بما يتيح فهمها وتحليلها وتقييمها و ربما مقاومتها.

الإطار النظري لبلاغة المخاطب

تفترض بلاغة المخاطب أن الخطابات البلاغية الجماهيرية هي خطابات توظف اللغة لتحقيق أغراض بلاغية هي إقناع المخاطب/ الجماهير، والتأثير فيه. هذا الإقناع والتأثير قد يستهدفان تمكين منشئي الخطاب أو المستفيدين منه من السيطرة والهيمنة على المخاطب، وهو ما يعني أن منشئي هذه الخطابات يستخدمون اللغة بكيفيات معينة، قد تتضمن التضليل والخداع، لتمكنهم من تحقيق السيطرة والهيمنة على المخاطب، أي التحكم في صياغة نسق معتقداته واتجاهاته وسلوكياته بما يجعله يعتقد ويتجه ويسلك وفقا لمصلحة منشئي الخطاب التي ربما تتعارض مع مصالحه. ووفقا لهارولد لاسويل لو أصبحت العوامل المحددة لرأي المرء ماثلة في ذهنه باستمرار فسوف يترجح احتمال أن يسأل الفرد العادي نفسه عما إذا كانت استجابته، على رغم كل شئ، معقولة إذا نظر لها في ضوء المعلومات المتاحة (نقلا عن شيللر ١٩٧٤). ومن ثم فإن الكشف عن الطريقة التي تستخدم بها هذه الخطابات اللغة لتحقيق أغراضها يمكن أن يقلل من قدرتها على تحقيق هذه الأغراض. وهو ما يعني أن وعي المخاطب بالكيفيات التي تستخدم بها الخطابات الجماهيرية اللغة يمثل خطوة أولى وضرورية لمقاومة سيطرة هذه الخطابات وهيمنتها.

يتم إنتاج الخطابات البلاغية الجماهيرية واستهلاكها في إطار عملية اتصال يمثل المخاطب طرفا فاعلا فيها. وتتفق بلاغة المخاطب مع بعض التصورات (فيسك ١٩٨٩) التي ترى أن المخاطب ليس طرفا سلبيا في هذه العملية؛ فه و ليس مجرد"مستقبل" لنص المتكلم. فبالإضافة إلى قيام المخاطب بعملية إنتاج معنى نص المتكلم عن طريق التأويل والتفسير فإنه يستطيع أن يدخل تغييرات جوهرية على الرسالة ذاتها من خلال استجاباته لها؛ حيث إن الاستجابات الآنية للمخاطب والمتمثلة في رد الفعل والتغذية الرجعية..إلخ تؤثر في الطريقة التي

يبني المتكلم بها نصه ومجمل خطابه. ومن ثم فإن المخاطب الذي يدرك قدرة استجاباته على تعديل نص المتكلم، ويمتلك قدرة على التمييز بين خطاب سلطوي يستهدف السيطرة عليه وخطاب غير سلطوي يستهدف تحريره- يستطيع بواسطة تطوير وتفعيل استجاباته أن يقاوم الخطاب السلطوي. وتنطوي هذه المقاومة على نقد خطاب المتكلم بما يمكن من نقله من دائرة اليقين إلى الاحتمال ، من دائرة التسليم المطلق إلى دائرة المساءلة، من دائرة حرية التأثير إلى دائرة البحث في الأغراض والمصالح. إن المخاطبين الذين يمثلون وفق تصور جيدن(نقلا عن ويلسون٢٠٠١) فواعل اجتماعيين قادرين على الاختيار مهما كانت قيود الظروف. يستطيعون توظيف بلاغة المخاطب في عملية تحسين قدرتهم على الاختيار وتطوير قدرتهم على الفعل.

على مدار قرون عديدة كانت البلاغة أداة يستطيع من يتقن استخدامها أن يسيطر- إلى درجة ما- على الآخرين. وقد ذكر جورجياس (وهو أحد أشهر معلمي البلاغة في تاريخ اليونان القديمة) في المحاورة التي خصصها أفلاطون لنقد البلاغة أن هؤلاء الذين يعرفون كيف يتكلمون، وكيف يقنعون الجماهير يتمكنون من تسخير الجماهير لخدمتهم، ويمكنهم بسهولة سلبهم ما يمتلكون (أفلاطون، ١٩٧٠: ٤٠). وعلى الرغم من أن المهمة التي كان يقوم بها الخطيب قديما (أعني إخضاع الناس لإرادته تمهيدا لاستغلالهم) أصبحت تقوم بها طائفة من التقنيين؛ مثل خبراء الدعاية ، ومحرري الخطاب The Ghost Writers، وأخصائيي التضليل الاعلامي Spin-doctors والمتحدثين بالإنابة Spokes(wo)men ورجال الدين الرسميين..إلخ، إن المستفيدين الأساسيين من هذا الإخضاع ليسوا هم هؤلاء التقنيين وإنما من يعملون لحسابهم، فإن الكثير من التصورات والتقنيات البلاغية التي قدمتها البلاغة (الإنشائية) القديمة لا تزال مستخدمة. لقد كتبت كريستينا شتوك في مؤلفها عن البلاغة السياسية العربية في القرن العشرين أن من "يعتقد بأنه يعلم الأهداف التي توظف من أجلها سلطة اللغة, يمكنه أن يخوض تجربة نزع هذه السلطة من اللغة" (شتوك، ١٩٩٩) ومع أن شتوك استخدمت عبارتها في سياق البلاغة السياسية فقط، وأنها استخدمتها للإيحاء بمحدودية مقدرة المخاطب العادي(أي غير المشترك في صنع القرار و غير العارف بالدوافع والأهداف التي يريدها المتكلم مسبقا) على مقاومة بلاغة المتكلم (وهو ما نقول بنقيضه) فإن هذه العبارة تعد صحيحة في سياق آخر هو سياق العلم

بالبلاغة؛ حيث يمكن القول إن العارف بطرق استخدام البلاغة بوصفها أداة للسيطرة هو القادر على إبطال هذه السيطرة وتحويل البلاغة إلى أداة للتحرير. وهو ما يعني أن البلاغة في صورتها ووظيفتها المقترحة هي امتداد عكسي للبلاغة الإنشائية القديمة من ناحية، وهي المعرفة المؤهلة لأن تقوم بوظيفة مقاومة السيطرة الخطابية من ناحية ثانية.

يصدق مفهوم الظواهر "البلاغية"، كما نستخدمه، على الظواهر التي تستهدف تحقيق الإقناع والتأثير. والتي تضم:

1- ظواهر لغوية؛ مثل اختيار الأصوات والمفردات والتراكيب والمجازات.
2- ظواهر فوق لغوية؛ مثل وسائل الإقناع والسرد.
3- ظواهر سياقية؛ مثل زمان ومكان الحدث البلاغي وطبيعة المشاركين فيه، ووسائط انتقاله.
4- ظواهر سيميوطيقية غير لغوية؛ مثل الموسيقى والصورة والحركة والإشارات الجسمية والرقص.

تمثل بلاغة المخاطب نوعا خاصا من الممارسة الأكاديمية والبيداغوجية من حيث اتصافها ببعض السمات هي؛ أولا: أنها ممارسة موجهة للمخاطب. وهو ما يعني أنها تشترك مع الخطابات البلاغية الجماهيرية في طبيعة مستهلكها، ولكنها تخالفها في أهدافها. ثانيا: أنها تتبنى على استمرارية النقد الذاتي، فهي معرضة دوما لأن تتحول إلى خطاب سلطوي إذا ادعت أنها تمتلك"الحقيقة" أو قامت بإقصاءات و تمييزات خطابية أو مادية. ودور النقد الذاتي هو مقاومة تحولها إلى ممارسة سلطوية بذاتها. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال الاعتماد على الممارسة الشفافة التي تكشف باطراد عن المناهج والإجراءات التي تستخدمها في التحليل والوسائل التي تستخدمها في تحقيق الإقناع والتأثير. ثالثا: أنها ممارسه عبر نوعية؛ وذلك على مستويين، الأول مستوى التحليل؛ أي أن ممارس بلاغة المخاطب لا يدرس الأنظمة اللغوية والسيميوطيقية المكونة

للخطابات البلاغية الجماهيرية فحسب بل السياقات الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية التي تنتج وتستهلك فيها هذه الخطابات. المستوى الثاني المستوى البيداغوجي؛ حيث إن بلاغة المخاطب يمكن أن تتحول إلى نشاط يشترك فيه أشخاص متعددو الاهتمامات والاختصاصات (أكاديميون، سياسيون، إعلاميون، ناشطون اجتماعيون..إلخ)، ويمكن أن تتنوع الوسائط المستخدمة في تقديمها. رابعا: أنها ممارسة نقدية؛ فهي تُعنى بالكشف عن التحيزات والتمييزات والهيمنة التي تمارس بواسطة الظواهر البلاغية. وهو ما يعني أنها ممارسة موجهة ضد كل أشكال وتجليات السلطة التي تمارس هذه التمييزات والتحيزات والهيمنة.

يحاول هذا التوجه أن يستفيد من حقول معرفية متعددة؛ منها التحليل النقدي للخطاب[٢]، الذي يدرس العلاقة بين الخطاب والسلطة، والبلاغة النقدية[٣] التي تدرس –انطلاقا من أطر ما بعد حداثية– طبيعة الخطاب البلاغي السلطوي والخطاب البلاغي التحرري، وأحد توجهات دراسات المتلقين، وهو المعني بدراسة ظاهرة المتلقي الإيجابي[٤]. أما البلاغة العربية الإنشائية المعنية ببلاغة المتكلم فهي مهمة من جانبين؛ الأول من حيث أنها تقدم للمتكلم أدوات تمكنه من تحقيق أغراضه من الكلام وبلاغة المخاطب تمثل من هذه الناحية معكوسا لبلاغة المتكلم؛ فهي تحاول إلغاء فعالية أدوات المتكلم في حال استخدامها في خطاب بلاغي سلطوي. الثاني: الاستفادة من الخبرات البيداغوجية التي طورتها بلاغة المتكلم على مدى عصور متعاقبة، والتي تحتاج إليها بلاغة المخاطب في إنجاز البعد البيداغوجي لها.

موضوعات بلاغة المخاطب

لعلم بلاغة المخاطب اهتمامان أساسيان؛ الأول بيداغوجي والثاني أكاديمي. يعد الاهتمام الأول امتدادا للتصورات التقليدية للبلاغة (الإنشائية) بوصفها مهارة إنتاج الكلام البليغ، ولعلم البلاغة بوصفه العلم الذي يحدد هذه المهارات ويمرن على ممارستها، وللمادة البلاغية بوصفها النصوص التي يرى البلاغيون أنها بليغة. وقد حددت البلاغة الإنشائية المهارات البلاغية بأنها مهارة المتكلم، وحددت المتكلم البليغ بأنه القادر على الوصول إلى أهدافه عبر أفضل استخدام للغة .ومن ثم انشغلت بتطوير قدرات المتكلم على توظيف اللغة بهدف التحكم في المخاطب. أما

بلاغة المخاطب فإنها تعيد تعريف المهارة البلاغية بأنها الاستخدام غير السلطوي للغة وإنتاج استجابات بليغة، و تعرف البلاغة بأنها العلم الذي يقوم بتحديد مهارات إنتاج الخطاب غير

السلطوي ويمرن على ممارستها و يحدد خصائص الخطاب السلطوي ويمرن على مقاومته، ويعرف المتكلم البليغ بأنه من يقوم بإنتاج خطاب غير سلطوي، والمخاطب البليغ بأنه من يقوم بإنتاج استجابات بليغة، أي مقاومة للخطاب السلطوي. ونقترح أن تقوم بلاغة المخاطب في بعدها البيداغوجي ب:

1- تدريب المخاطب على التمييز بين الخطاب البلاغي السلطوي والخطاب البلاغي غير السلطوي عن طريق تحديد الخصائص النوعية لكل منهما وتعميق الوعي بالتغيرات والتحولات التي تطرأ على كل منهما.

2- تطوير قدرة المخاطب على إنتاج استجابات بلاغية (أي آنية وبراجماتية) للخطاب البلاغي للمتكلم بنوعيه السلطوي وغير السلطوي مقاومة أو تدعيما أو فضحا..إلخ.

3- تطوير قدرة المخاطب على إضعاف (أو إلغاء) سيطرة المتكلم على عناصر السياق، لضمان وجود حد أدنى من شروط الموقف الاتصالي غير السلطوي.

4- تقديم لائحة بالآثار التي تترتب على سيطرة المتكلم على المخاطب والاستعانة بأمثلة تاريخية تبين للمخاطب الثمن الباهظ الذي يدفعه من جراء استسلامه لخطاب المتكلم السلطوي.

5- تطوير قدرة المخاطب على إدراك الأغراض التي يسعى المتكلم لتحقيقها بواسطة خطابه. وهو ما يتضمن القدرة على فهم دوافع خطاب المتكلم ودلالاته.

6- التعريف بطرق تحقيق التضليل بواسطة اللغة، ودراسة خطابات فعلية استخدمت اللغة بهدف التضليل وتطوير استجابات لغوية مضادة(إعادة تسمية الأشياء أو الأحداث على سبيل المثال).

7- تعريف المخاطب بالكيفية التي يقوم بها خطاب المتكلم بإدراك المخاطب وتشكيل صورة للمخاطب النموذجي الذي يتوجه إليه خطابه أو المخاطب غير المرغوب فيه المستبعد من دائرة خطابه. وكيفية الاستجابة لهذه الصور.

8- تعريف المخاطب بأنواع الخطابات البلاغية(سياسية، دينية، اجتماعية..إلخ)، والخصائص النوعية لكل منها، والوظائف التي يتغيا منشؤوها تحقيقها بواسطتها، والآثار التي يحتمل أن تحدثها في المخاطب.

الاهتمام الثاني لبلاغة المخاطب اهتمام أكاديمي. وسوف يكون على المشتغلين ببلاغة المخاطب أن يبحثوا قضايا معرفية تخص طبيعة التوجه بوصفه ممارسة معرفية تحتاج إلى مراجعة دورية لأسسها المعرفية، وتطوير لمناهجها ومقارباتها وإجراءاتها، واهتمام بالبحث في طبيعة العلاقة بينها وبين الممارسات المعرفية في إطار العلم الذي تنتسب إليه(مثل البلاغة الإنشائية)، والممارسات المعرفية وثيقة الصلة المنتمية إلى علوم أخرى (مثل التحليل النقدي للخطاب، البلاغة النقدية..إلخ). إضافة إلى اقتراح موضوعات للبحث في إطار بلاغة المخاطب، ومعالجة المشكلات المعرفية التي تواجه ممارسيها.

تضم قائمة الموضوعات التي أقترح أن تدرس أكاديميا في إطار بلاغة المخاطب الموضوعات الآتية:

1- الخصائص اللغوية والبلاغية للخطاب (غير) السلطوي.

2- الأغراض التي يسعى الخطاب (غير) السلطوي لتحقيقها. والاستراتيجيات والتقنيات التي يوظفها لتحقيق هذه الأغراض.

3- العلاقة بين الخطاب (غير) السلطوي وخطاب السلطة. وكيف يمكن أن تنتج السلطة خطابا غير سلطوي.

4- أثر نوع الخطاب (سياسي، دعائي..إلخ)، والسياق الذي ينشأ فيه(مجموع الظروف الاجتماعية والاقتصادية..إلخ)، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب (مثل حاكم/محكوم، واعظ/متدين..إلخ)، والوسائط المستخدمة في نقله(التليفزيون، الإذاعة..إلخ) في إنتاج خطاب (غير) سلطوي، وإنتاج استجابة (غير) بلاغية.

5- دور المخاطب في عملية الاتصال.

6- أنواع المخاطب(نصي، فعلي..إلخ، مؤدلج/حر، المثقف/محدود المعرفة) ، والاستجابات التي يمكن أن ينتجها كل نوع. و قدرته على مقاومة الخطاب السلطوي، والمهارات التي يحتاجها لتحقيق ذلك.

7- طبيعة استجابة المخاطب(لفظية/غير لفظية، مباشرة/غير مباشرة، خطابية/غير خطابية..إلخ)، وطرق تطويرها. وخصائص الاستجابة البليغة.

8-

هذه القائمة الأولية من الموضوعات التي يمكن أن تبحث في إطار أكاديمي خالص، قابلة للتطوير بالإضافة أو الحذف أو التعديل. بعض هذه الموضوعات مطروح للبحث بالفعل (على سبيل المثال يقوم خبراء الإعلان بدراسات دؤوبة لأنواع المخاطبين واتجاهاتهم وسلوكياتهم..إلخ) لكنها تبحث بمنظور مختلف في إطار بلاغة المخاطب.

تستند مشروعية تأسيس توجه معرفي إما إلى خصوصية الظواهر التي يدرسها أو خصوصية المنظور الذي تعالج الظواهر موضوع الدراسة من خلاله. إن كثيرا من الظواهر البلاغية التي تدرسها بلاغة المخاطب تدرسها توجهات أخرى؛ بلاغية أو غير بلاغية. وتتخذ بلاغة المخاطب من طبيعة الاستجابات البلاغية الفعلية والمحتملة للمخاطب الذي يتلقى خطابا بلاغيا عاما موضوعا لدراستها، من ناحية، كما تحاول أن تطور مقاربة خاصة لدراسة هذه الاستجابة. فالموضوعات السابقة يُنظر إليها بالأساس في علاقتها باستجابة المخاطب، وهذا ما يميز بلاغة المخاطب عن غيرها من التوجهات المعرفية التي تتخذ من مقاومة الخطاب السلطوي هدفا لها.

يمكن أن نوضح خصوصية المعالجة التي تقترحها بلاغة المخاطب للظواهر موضوع دراستها من خلال نموذج تطبيقي. التصفيق أحد الظواهر التي يمكن أن تدرس في إطار بلاغة المخاطب. والتصفيق علامة غير لغوية يمكن النظر إليها بوصفها مكونا من مكونات الاتصال الجماعي المباشر، والطقوسي منه خاصة. وهي بذاتها تكاد تكون شعيرة خطابية في بعض الأنشطة البلاغية مثل الخطابة السياسية. ويمثل التصفيق إحدى الاستجابات التي يستطيع المخاطب إنتاجها في سياق التفاعل اللفظي الآني مع خطاب المتكلم. وعلى الرغم من أن المخاطب قد لا يكون حرا تماما في إنتاج أو عدم إنتاج التصفيق نتيجة لبعض المواضعات الاجتماعية، أو وجود سيطرة مادية على استجابته..إلخ؛ فإن التصفيق أو عدمه يقدم إمكانية يستطيع المخاطب من خلالها أن يستجيب استجابة "بلاغية" فعالة، قد تؤثر، بدرجات متباينة، على الآثار النهائية التي يحققها خطاب المتكلم؛ فبواسطة فعل التصفيق، حضورا أو غيبة،على سبيل المثال يمكن للمخاطب أن يوقف فعل التكلم أو أن يعضده...إلخ.

يمكن أن تدرس ظاهرة تصفيق الجمهور الذي يتلقى خطابا بلاغيا ما دراسة بلاغية تقابلية؛ تعنى بالمقارنة بين الدلالات والأشكال المتباينة للتصفيق في الثقافات المختلفة. وقد دُرست الظاهرة دراسة بلاغية ذات منحى مختلف. فقد قام عدد من الباحثين (أتكينسون1984 Atkinson، كالندر وكاميرون 1990 Callender and Cameron) بدراسة حيل التصفيق الكلامية؛ أي الأساليب البلاغية التي يستخدمها المتكلم، الخطيب السياسي ورجل الدين خاصة، بوصفها فخاخ للتصفيق مثل الأزواج المتقابلة، والقوائم ثلاثية الأجزاء. وقد ركز كالندر وكاميرون (1990)، بالإضافة إلى ذلك، على دراسة أثر نوع الخطاب (سياسي، ديني..إلخ) في تشكيل استجابة التصفيق. أما كو2001 kou) فقد اهتمت بدراسة أثر موقف المخاطب من الآراء والمعلومات والأفكار التي يقدمها المتكلم في إنتاج استجابة التصفيق، بينما ركز بُل و نورذويزن Bull and Noordhuizen 2000) على دراسة ظاهرة تصفيق المخاطب في الوقت والسياق غير المناسبين.

إن معالجة ظاهرة التصفيق في إطار بلاغة المخاطب ينطوي على توجيه الاهتمام بجوانب أخرى للظاهرة تمثل موضوعا للبحث، ويمكن صوغها على النحو التالي:

1- دراسة الآثار التي يُحدثها فعل التصفيق في المخاطب بنوعيه؛ المخاطب المباشر الذي يتلقى الخطاب ويقوم أو لا يقوم بفعل التصفيق، الذي تُنقل استجابته بوصفها جزءا من الخطاب، والمخاطب غير المباشر الذي يتلقى خطاب المتكلم وتصفيق المخاطب المباشر بوصفه خطابا واحدا يقوم هو بالاستجابة له. والإجابة عن هذا السؤال تقتضي القيام بعمل ميداني، يتضمن جمع بيانات عن الآثار التي يُحدثها التصفيق في المخاطب.

2- دراسة الوظائف والأغراض التي يسعى المتكلم لتحقيقها بواسطة دفع المخاطب إلى التصفيق، والوسائل التي يستخدمها في تحقيق هذه الوظائف ؛ سواء أكانت وسائل بلاغية أو غير بلاغية، مثل انتقاء المخاطبين، أو وجود مجموعات منهم تقوم بدور موجهين للفعل أو مبادرين به ...إلخ.

3- دراسة أنواع التصفيق الممكنة، والتي يمكن تقسيمها، بشكل أولي، إلى١-تصفيق عُرفي. ٢- تصفيق عفوي منظم. ٣- تصفيق عفوي غير منظم. ٤- تصفيق معد سلفا. ٥- تصفيق إيقاعي. ٦- تصفيق غير إيقاعي. ٧- تصفيق طويل أو متوسط أو قصير الزمن.٨- تصفيق حاد أو متوسط أو ضعيف. ٩- تصفيق فردي أو جماعي.١٠- تصفيق متقطع أو مستمر...إلخ. وتحديد السياقات التي يمكن أن توجد فيها حزمة أو أخرى من هذه الأنواع، وهل ثمة علاقات(اطراد، تلازم، تعارض...إلخ) بين أنواع منها؟ وكيف تفسر هذه العلاقات؟ وهل تتباين التأثيرات التي تُحدثها حزم بعينها على المخاطب غير المشارك؟ ولماذا؟

4- دراسة أثر طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب(الاجتماعية والوجدانية والسلطوية...إلخ) في استجابة المخاطب بواسطة التصفيق(وجودا أو عدما، نوعا ودرجة...إلخ).

5- دراسة كيف يمكن تحويل التصفيق ليصبح استجابة بلاغية مقاومة للخطاب السلطوي

6- دراسة كيف يُنتج التصفيق دلالاته، وهل توجد علاقات بين درجة ومدة وشدة وطريقة التصفيق والدلالات التي تنتج عنه.

7- البحث فيما إذا كان موقف المخاطب من التصفيق(قبولا، رفضا، استهجانا...إلخ) يؤثر في تحقيق التصفيق للوظائف التي يسعى المتكلم لتحقيقها، ولماذا. وفي حال غياب فعل التصفيق بسبب موقف عقدي(كما هو الحال عند بعض الجماعات الإسلامية في مصر)، أو عرفي(كما هو الحال في بعض القرى المصرية) ما الاستجابات التي تحل محله وتقوم بوظائفه؟

يمكن أن تدرس هذه الجوانب تطبيقا على خطابات طبيعية منجزة، متباينة السياقات. وهو ما قد يؤدي إلى الخلوص إلى تعميمات تخص استجابة التصفيق في سياق ما. ويمكن أن تستخدم هذه التعميمات أساسا لإنشاء جزء من مقرر بيداغوجي، يوجه لمن يتعرضون لهذه الخطابات بهدف توعيتهم بالطرق التي يستخدم بواسطتها التصفيق بوصفه أداة خطابية سلطوية، وكيفية مقاومة ذلك.

أهمية بلاغة المخاطب

هناك أهمية خاصة لبلاغة المخاطب في المجتمعات العربية، ومصر بخاصة، يرجع ذلك أولا إلى طبيعة هذه المجتمعات التي يسيطر عليها خطاب بلاغي لا يتيح، غالبا، التعدد ولا يقبله؛ فالخطيب، على سبيل المثال، ما إن يصعد المنبر حتى تُحظرَ على مستمعيه معارضتُه أو التعليقُ على ما يقول أو تصويبه أو حتى الهمس في أثناءِ خطابه، وبذلك لا تتسنى مراجعتُه إلا بعد أن ينجز خطابه مهمته. وربما لا تتسنى مراجعته مطلقا. والحاكم لا يسمح لخطيب آخر بالتحدث إلا إذا كان يردد ما يرضى عنه، ونادرا ما كانت خطب السياسيين تنطوي على تقدير حقيقي للآراء المخالفة لها؛ مما يؤدي إلى إغفال هذه الآراء وتجاهلها أو تشويهها وابتسارها، أو مهاجمة

أصحابها دون أن تعرض أصلا. تستهدف هذه الخطابات إدماج المخاطب في "النحن" التي تحيل إلى المتكلم بوصفه مؤسسة تدافع عن مصالحها الخاصة. غالبا ما يرى الخطاب البلاغي العام في الآخر المختلف خطرا يدفعه دائما إلى مقاومة وجوده؛ الآخر هو المارق أو الكافر أو الملحد أو المشرك أو العاصي في الخطاب الديني. وهو المنشق عن إجماع الأمة أو المهدد لمصالح الوطن أو الخائن لأمنه والمثير للفتن، أو الجاهل بحقيقة الأمور، الغافل عن حكمة القادة الملهمين في الخطاب السياسي. وهو الغشاش الكاذب في الخطاب الإعلاني...هلم جرا. ليس للآخر وجود في الخطاب البلاغي السلطوي من حيث هو ذات إنسانية واعية تمارس حقها في الاختلاف، لا تناقش آراءه أو توجهاته. ونادرا ما يتم تقديم الآخر بوصفه كيانا أو شخصا متعينا؛ إنه آخر غير مؤنسن، يتم تصويره غالبا على أنه كيان مارق عن إطار شرعي ما. قد يكون " مصالح الوطن" أو" الدين الحقيقي" أو " الأعراف المستقرة" أو " المعلن الأمين". ومنشئ الخطاب يعطي لنفسه وحده الحق في التحدث عن هذه الأطر. وهو لا يعرفها ويحددها بل يتركها مرسلة لتصبح كيانات هلامية تتأسس بلاغيا وتمارس الإقصاء والهيمنة وكأنها كيانات حقيقية. في كثير من الأحيان يقع الآخر في الخطاب البلاغي العام بين مطرقة القهر المادي وسندان خطاب بلاغي سلطوي يهمشه ويقمعه على المستوى الخطابي، ويبرر قهره وتقييد حريته وربما التخلص منه على المستوى المادى. خطابات يقينية أحيانا. لا تعترف بالشك أو الاحتمال أو تعليق الحكم أو نسبيته. وهي في أحيان أخرى، وربما في الوقت نفسه، تكون خطابات زئبقية مبهمة، تتكلم كثيرا، ولا تقول شيئا. خطابات ينبني معظمها على التكرار الذي يستهدف قبول المقول لأنه متكرر وشائع ومألوف للأذن، أكثر من كونه مقنعا أو صادقا. تحتفي، غالبا، بأفعال التفضيل التي تنفي الجميع لصالح واحد، فتصبح السلعة المعلن عنها هي الأجود والأفضل، والشعب هو الأعظم والأكثر حضارة بين الشعوب، والعصر الحالي هو الأكثر حرية ورخاء وديمقراطية بين غيره خلال العصور، والدين المدعو له هو الأنقى والأطهر من بين كل الأديان، والأمة التي يُتحدث باسمها خير أمة أخرجت للناس، أو شعب الله المختار، ...إلخ. تنتج أفعال التفضيل المدعمة بأل خطابا إقصائيا يمارس التهميش والإزاحة . فلا حضور إلا للمفضل. بينما ينتج أفعل التفضيل غير المدعم بأل هيراركية سكونية يحل فيها المفضل عليه تابعا للمفضل. تلك التبعية ينشؤها الخطاب

ثم يفرضها على الواقع. وفي كثير من النصوص لا يعني التراتب تدرجا في حضور الصفة في العناصر المتراتبة بل إثباتا لها في التابع ونفيا لها من المتبوع. إن منشئ الخطاب العام الذي يقدم نفسه بوصفه أكثر إخلاصا لوطنه من معارضيه، أو أكثر تدينا من منافسيه لا يؤسس لتدرج الوصف فيكون المفضل عليه أقل درجة في تدينه أو إخلاصه منه بل يسلب المفضل عليه الوصف كلية. و يحل الإقصاء التداولي محل التراتبية الدلالية. والطريقة الأساسية – وربما كانت الوحيدة– لتعرية هذا الخطاب وكشف سلطويته –في حال غياب خطابات تعارضه وتتصارع معه– هو اكتساب القدرة على تمييز الخطاب السلطوي، و الوعي بالوسائل اللغوية التي يستخدمها لتفعيل سلطويته. والاستجابات الفعالة التي يستطيع المخاطب بواسطتها مقاومته. و هو ما تحاول بلاغة المخاطب القيام به.

ثانيا: الطبيعة شبه الشفاهية للثقافة العربية: فلا تزال توجد تجليات شفاهية مؤثرة في المجتمعات العربية، تجعل المخاطب العربي سريع التأثر باللغة البليغة، وهو تأثرٌ غالبا ما يكون انفعاليا لا عقلي. وهو ما يمثل خطورة حقيقية لأنه ربما يدفع المخاطبين إلى السلوك بعكس ما تمليه عليهم مصالحهم، وهو ما يؤدي إلى استلاب إرادتهم وبالتالي حريتهم، ويصبح الخطاب البليغ والمتكلم البليغ أداة فعالة للسيطرة والقهر الذي يُستقبل بإذعان واستسلام من المخاطب أحيانا، و بترحيب منه أحيانا أخرى. وبلاغة المخاطب تحاول الحد من "سحر البلاغة". وتقليل أثر الانفعال، وتفعيل التلقي العقلاني للخطاب البلاغي.

ثالثا: تقديس الثقافة العربية للبلاغة؛ فمعجزة الرسول (ص) كانت نصا لغويا بليغا؛ أعني القرآن الكريم. والعربي، وفق أخبار كثيرة، كان يحقق ببلاغته ما لا يحققه بسيفه أو ماله. وقديما كان بلغاء القبيلة هم أسيادها وحكامها. وقد أدى ذلك إلى نتيجتين مهمتين؛ الأولى: تقديم حسن الكلام على حسن الفعل. أو على الأقل المساواة بينهما. والثانية: فرض قانون التصديق؛ أعني إجبار المخاطب على تصديق المتكلم الممتلك للسلطة والتسليم بخطابه. ولعل هذا يفسر الموقف الصارم الذي تتخذه السلطة في مواجهة (المكذبين)، الذين يتعرضون لمصداقية خطابها.

ولا يزال " التكذيب" أمرا غير مستحب إلى حد ما فيما يخص الأمور الاجتماعية، خاصة إذا كان تكذيبا علنيا. أما في السياسة فإن فعل تكذيب المتكلم الممتلك للسلطة يجر على صاحبه ويلات تبدأ بنبذه ولا تنتهي عند قتله. إن إحدى وظائف بلاغة المخاطب هي تأسيس ثقافة التكذيب، التي تمكن المخاطب من إدراك العلاقة بين اللغة والواقع، و التمييز بين العالم داخل اللغة والعالم خارجها.

رابعا: من المحتمل أن تشهد الفترات القادمة توسعا وتعميقا في عمليات تضليل الجماهير بواسطة ممارسات خطابية تستهدف في المحصلة النهائية التحكم في عقولهم؛ وذلك نتيجة التغير الحادث في آليات ممارسة السلطة في بعض الأنظمة الحاكمة، وبخاصة احتمالات حدوث تراجع نسبي في استخدام القمع الشامل.

تتأكد أهمية بلاغة المخاطب من خلال التتبع الأولي للعلاقات التقليدية المتعددة بين البلاغة والسلطة. فالبلاغة غالبا ما تكون إحدى الأدوات التي تستخدمها السلطة لتحقيق هدفها الأساسي وهو التحكم. كما يمكن أن تكون البلاغة ذاتها مصدرا من مصادر السلطة؛ يتيح الاستحواذ عليها الاستحواذ على قدر ما من السلطة. وقد ذكر جورجياس في حواره مع سقراط أن البلاغة تتضمن في ذاتها جميع القوى وتسيطر عليها، وأن الخطيب ينال من الجمهور بكلمة كل ما يريد. وفي السياق نفسه يذهب فان دايك(٢٠٠١) إلى أن النفاذ إلى أنواع معينة من الخطابات (مثل الخطاب السياسي والإعلامي...إلخ) يمثل في حد ذاته مصدرا للسلطة.

هذا الارتباط بين البلاغة والسلطة أولا: يفسر حرص الأنظمة الديكتاتورية على السيطرة على الخطابات البلاغية الجماهيرية عن طريق السيطرة على وسائط الاتصال الحاملة للخطاب البلاغي ، وإجهاض الخطابات البلاغية المعارضة عبر القمع المادي بوسائله المختلفة، والتحكم في عقول الجماهير بواسطة خطابات بلاغية سلطوية تمارس- بفعالية- عمليات التضليل والخداع. ثانيا: يفسر اطراد العلاقة في بعض الحالات بين امتلاك السلطة لخطاب بلاغي فعال وقدرتها على السيطرة على الجماهير من ناحية واتجاهها ضد مصالح الجماهير من ناحية أخرى. ثالثا: يفسر هذا الارتباط الصراع الذي قد ينشأ بين قوى مختلفة للسيطرة على خطاب معين يتسم

بالفعالية والنفاذ؛ مثل الصراع الذي نشأ في مصر بين المؤسسة الدينية الحكومية ممثلة في الأزهر الشريف و الجماعات الدينية غير الرسمية على الخطاب الديني؛ أي من يمتلك حق استخدام البلاغة الدينية من ناحية والتحدث باسمها من ناحية أخرى. وهو الصراع الذي نشأ بين الجماعات الدينية نفسها واستخدم فيه التكفير أحيانا وسيلة لمنع الآخرين من النفاذ إلى الخطاب. ويفسر ذلك رابعا وأخيرا حرص القوى المتصارعة على تفنيد الخطابات البلاغية المعارضة، وإضعاف قدرتها على الفعل.

توجد أوجه أخرى للعلاقة بين البلاغة والسلطة يمكن أن تطرح في صورة إشكالات عامة يتفرع عنها فروض قابلة للاختبار؛ مثل: العلاقة بين بلاغة السلطة و البلاغة السلطوية وهل يؤدي وجود خطاب بلاغي سلطوي جديد إلى إنشاء سلطة جديدة؟ بصياغة أخرى: أيهما ينشأ أولا السلطة أم بلاغتها؟ والأهم: كيف يمكن أن تكون البلاغة أداة لتقويض السلطة، و كيف تستطيع أن تتخلص من سلطويتها؟ إن عناية بلاغة المخاطب بسبر العلاقة بين البلاغة والسلطة يأتي في إطار مشروعها الخاص بتخليص البلاغة من سلطويتها من ناحية ومن استغلالها من قبل من يمتلكون السلطة من ناحية ثانية.

تطمح بلاغة المخاطب إلى تحقيق أهداف اجتماعية ومعرفية متعددة لعل أهمها:

1- تطوير قدرة المخاطب على التمييز بين خطاب بلاغي سلطوي يستهدف التحكم في المخاطب والهيمنة عليه لصالح منشئه ويستخدم التضليل والتزييف والخداع لتحقيق ذلك، وخطاب بلاغي غير سلطوي يستهدف تحقيق اتصال حر. ويتحقق ذلك عن طريق الوعي بالكيفيات التي يشكل بها الخطاب السلطوي لغته، والوظائف التي يسعى لتحقيقها، والكيفيات التي يشكل بها الخطاب البلاغي غير السلطوي لغته والوظائف التي يسعى لتحقيقها. إن تأثيرات الخطاب البلاغي تكون مصاحبة لعملية

استهلاكه. ومن ثم لا يؤدي تحليل الخطاب البلاغي السلطوي إلى التقليل من سلطويته، لأنه مارسها بالفعل فور استهلاكه. ومن هنا تظهر أهمية بلاغة المخاطب لكونها تقدم معرفة قبلية للمخاطب تمكنه في حال تعرضه لخطاب بلاغي ما من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب ومبالغاته ومغالطاته ومفارقاته للواقع وتناقضاته الداخلية والأغراض التي يسعى لإنجازها. وهو ما يمثل خطوة أساسية لإنتاج استجابات فعالة إزاء هذا الخطاب .

2- تقويض أحد أوجه العلاقة بين البلاغة والسلطة، والذي تعد البلاغة بمقتضاه أداة فعالة من أدوات التحكم في الجماهير؛ أي أداة في يد السلطة. لقد آمن أفلاطون، كما يقول بيرد(٢٠٠٠)، بأن محور البلاغة هو التلاعب بالمستمعين من قبل أناس غيرِ مخلصينَ في دوافعهم بشكل جذري. وما تحاوله بلاغة المخاطب هو تعديل محور البلاغة ليكون تقويض إمكانيات استخدام اللغة للتلاعب بالجماهير من قبل هؤلاء "غير المخلصين". وهي تجعل بذلك علم البلاغة في خدمة الطرف الأضعف في عملية الاتصال الجماهيري؛ أعني المخاطب، مستهدفة زعزعة هيمنة الخطاب ومنشئيه بحيث يصبح المخاطب ممتلكا بشكل فعلي لحرية الإرادة والفعل دون تعرض لخداع أو تضليل.

لا تقوم بلاغة المخاطب بتلقين" الحقيقة" أو كيفية الوصول إليها؛ نظرا لأنها ببساطة لا تدعي امتلاكها. ولا القدرة على تحديدها. إنها لا تطمح أن تكون ممارسة علمية سلطوية تمارس هيمنة وإقصاءً باسم الحقيقة. وإنما غايتها أن تنضم إلى الممارسات العلمية التحررية التي يرى هابرماس أنها تعمل على تخليص البشر من كل ما يعمل على تشويه الفهم والاتصال، وهو ما سوف يؤدي إلى خلق اتصالٍ حرٍ؛ لا تشوهه أشكال عدم التكافؤ الاجتماعي، أو القمع الخارجي، أو القهر الداخلي.

ملاحظات

(١) حدد هابرماس ثلاثة اهتمامات معرفية مشتركة لدى جميع البشر. الاهتمام الأول تقني فني يتمثل في معرفة البيئة المحيطة وفي السيطرة عليها والتحكم فيها. و قد أدى هذا الاهتمام إلى قيام العلوم الطبيعية. والاهتمام الثاني عملي يتمثل في قدرة كل منا على فهم الآخرين، وعلى العمل المشترك والتعاون في مناشط الحياة. وهذا هو الاهتمام المسئول عن قيام العلوم التأويلية. أما الاهتمام الثالث فهو اهتمام تحرري ينطوي على الرغبة في تخليص أنفسنا من كل ما يعمل على تشويه عمليات الاتصال والفهم. وهو الاهتمام المسئول عن قيام العلوم النقدية (نقلا عن: مارشال2001). و تضع بلاغة المخاطب نفسها في إطار الاهتمام الثالث؛ أعني العلوم النقدية التحررية.

(٢) منذ تسعينيات القرن العشرين ظهر التحليل النقدي للخطاب Critical Discourse Analysis في الأوساط الأكاديمية في أوروبا الغربية. ومع نهاية القرن كان يمثل أحد أكثر توجهات تحليل الخطاب استقطابا للباحثين بلومارت وبولكان(2000) Blommart and Bulcaenوقد وصفه ويدوسون H.G.Widdowson (2004) بأنه حقل مكتظ بالنشاط. يحدد فان دايك Van Dijk (2001)، موضوع التحليل النقدي للخطاب بأنه دراسة الكيفية التي يقوم به النص والكلام بتقنين و إنتاج ومقاومة اعتداءات السلطة الاجتماعية وهيمنتها ولا مساواتها. وأن المحلل النقدي للخطاب يسعى لفهم اللامساواة الاجتماعية والكشف عنها تمهيدا لمقاومتها. و من ثم فإن التحليل النقدي للخطاب له غاية عامة، وهي وفقا لتيتشر Titcher وآخرين2000، توعية البشر بالتأثيرات المتبادلة بين اللغة والبنى الاجتماعية، تلك التأثيرات التي لا يعيها البشر غالبا(147).

(٣) تعد البلاغة النقدية Critical Rhetoric، بمعية القراءة الفاحصة Close Reading ، أحد أهم اتجاهين بلاغيين في البلاغة المعاصرة(Jasinski 2001). وارتبطت البلاغة النقدية بكتابات عالمين أمريكيين هما ريمي مكرو Raymie Mckerrow (1989، 1991) ومايكل ماكجي Michael McGee (1990). وقد نشر مكرو في عام1989 دراسته" البلاغة النقدية: النظرية والممارسة" التي دشنت البلاغة النقدية في الأوساط الأكاديمية الأمريكية. وبعدها بعامين خصصت الدورية الفصلية لدراسات الكلام Quarterly Journal of Speech منتدى العدد للبلاغة النقدية. وقد أعاد مكرو في مقالته الصغيرة المنشورة بهذا العدد صياغة بعض الأفكار الأساسية التي قدمها في دراسته السابقة. ويبدو أن دعوته لتأسيس البلاغة النقدية قد لاقت استجابة من دارسي البلاغة الغربيين؛ يظهر ذلك من القائمة الضخمة، غير الشاملة، التي أورد فيها مكرو (2005) الدراسات البلاغية التي تنتمي للبلاغة النقدية. حدد مكرو(1989)هدف البلاغة النقدية بأنه الكشف عن الطرق التي يسهم بها الخطاب في خلق الكبت الاجتماعي و/ أو السياسي. وقدم في المقالة نفسها عددا من المقولات النظرية التأسيسية، وبعض المبادئ الإرشادية في الممارسة.

(٤) هو أحد التوجهات المعاصرة في دراسات الجماهير. وقد خصص له محررا كتاب" مختارات من دراسات المتلقين:Audience Studies Reader " القسم الثالث من الأقسام السبعة التي تشكل الكتاب، والتي تقدم بانوراما لدراسات الجماهير في العالم الغربي حتى وقت صدوره في 2003. وقد ضم هذا القسم أربع مستلات لأربعة باحثين، واختير عنوانا دالا له هو" القراءة بوصفها مقاومة: القارئ النشط". قدم المحرران لهذه التوجه بقولهم" إنه يفترض وجود علاقة ذات اتجاهين Two-way relationship بين الجماهير والنصوص، يستطيع القراء من خلالها مقاومة الثقافة المفروضة عليهم والاشتباك معها وخلق معانيهم الخاصة من خلالها، وذلك في مقابل تصورات أخرى ترى أن أصحاب المصالح من صناع الثقافة يفرضون على البشر الضعفاء والسلبيين ما يسمى بالثقافة الجماهيرية، التي تخدم مصالحهم والتي تتعارض بدورها مع مصالح هؤلاء البشر بشكل مباشر"(بروكر و جيرمين & Brooker Jermyn 2003: 91).

المراجع

أولا: المراجع العربية

أفلاطن ١٩٧٠. محاورة جورجياس، ترجمها عن الفرنسية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

الخولي، أمين ١٩٣٠. من تاريخ البلاغة. ضمن "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

السكاكي، أبو يعقوب. مفتاح العلوم. البابي الحلبي بمصر، ١٩٩٠.

عصفور، جابر ١٩٩٢. بلاغة المقموعين. مجلة ألف عدد ٦، ١٢-٤٩.

شيللر، هربرت ١٩٧٤. المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة،ط2مارس١٩٩٩.

مارشال، جوردون ٢٠٠١. موسوعة علم الاجتماع. ترجمة محمد الجوهري وآخرون، نشر المجلس الأعلى للثقافة.

موسى، سلامة ١٩٤٥. البلاغة العصرية واللغة العربية، المطبعة العصرية بمصر.

ناصف، مصطفى ١٩٩٠. بين بلاغتين، ضمن"قراءة جديدة لتراثنا النقدي"، نادي جدة الثقافي.

ناصف، مصطفى 1995. اللغة والتفسير والتواصل. عالم المعرفة ١٩٣.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Atkinson, M. (1984). *Our Masters' Voices: The Language and Body Language of Politics.* London: Methuen.

Beard, A. (2000). *The Language of* Politics. Routledge. London; New York.

Blommaert. J. and C. Bulcaen. (2000). "Critical Discourse Analysis". *Annual Review of Anthropology* 29. 447-66

Brooker. W. and D. Jermyn (eds.) (2003). *The Audience Reader*. Routledge. London: New York.

Bull. P,. and M. Noordhuizen. (2000). "The Mistiming of Applause in Political Speeches." *Journal of Language and Social Psychology* 19 (3). 275-294.

Callender, C.. and D. Cameron. (1990). "Responsive Listening as Part of Religious Rhetoric: The Case of Black Pentecostal Preaching." In *Reception and Response: Hearer Creativity and the Analysis of Spoken and Written Texts*. G. McGregor and R. S. White (eds.). London: Routledge. 160-178.

Chouliaraki. L. and N. Fairclough (1999). *Discourse in Late Modernity: Rethinking Critical Discourse Analysis*. Edinburgh University Press.

Fiske, J. (1989). *Understanding Popular Culture*. Routledge. London; New. York

Kuo, S,. (2001)."Generating applause and laughter: A study of rhetoric and response in the 1998 Taipei mayoral debates." *Studies in English Literature and Linguistics* 27 (2). 189-215.

McGee, M. C. (1990). Text, Context and Fragmentation of Contemporary Culture. *Western Journal of Communication* 54. 274- 289.

McKerrow, R. E. (1989). "Critical Rhetoric: Theory and Praxis". *Communication* Monographs 56, 91-111.

McKerrow. R. E. 1991. Critical Rhetoric in a Postmodern World. *Quarterly Journal of Speech* 77, 75-78.

McKerrow, R. E. (2005). Critical Rhetoric Biblio List (not exhaustive). "oak.cats.ohiou.edu/~mckerrow/CRbiblio.htm." عنوان الموقع، 2005 5 أكتوبر

Schiffrin. D.. D. Tannen and H.E. Hamilton (eds.). (2001). *The handbook of Discourse Analysis*. Oxford: Malden. MA. Blackwell Publishers.

Stock, K. (1999). *Sprache als ein Instrument der Macht : Strategien der Arabischen politischen Rhetorikim 20.* Jahrhundert/von.Wiesbaden: Reichert.

Titscher. S., M. Meyer. R. Wodak and E. Vetter (2000). *Methods of Text and Discourse Analysis*. London: Thousand Oaks [Calif.]. SAGE Publications.

Van Dijk, Teun A (2001). "Critical Discourse Analysis". In D. Schiffrin et al. (eds).

Widdowson. H.G. 2004. *Text, Context, Pretext: Critical Issues in Discourse Analysis*. Blackwell Publishing.

Wilson. J., 2001. "Political Discourse". In D. Schiffrin et al. (eds).

Abstract in English:

An attempt is made to update the traditional approach to the study of Arabic rhetoric—which has been strictly either Qor'anic or literary—to subsume modern areas of discourse analysis. Addressing native speakers of Arabic—who may all be living a diaglossic situation—in political, religious, and propagandist contexts, both auditory and visual—writers/speakers employ manipulative language for the purpose of winning public consent and approval. The object of the study is to put the addressee in command of the situation by providing him with the necessary knowledge about persuasive methods and tools employed by empowered speakers, that which the writer refers to as "the addressee's rhetorical competence"—as opposed to "the speaker's rhetorical competence" (which is meant to reinforce the speaker's abilities and to give him an obvious advantage over his audience who may be an easy prey to his/her manipulative manoeuvres).

After a review of the types of Arabic tradition/classical approaches to rhetoric and its classifications, the writer suggests a series of steps and procedures to enhance the addressee's critical awareness of possible rhetorical tricks exercised by speakers and their implications in order to assist the addressee in improving his/her receptive abilities. The writer gives an example of some linguistic techniques that may arouse applaud on the part of the audience. The acquired knowledge should allow the addressee to distinguish such persuasive devices targeting his/her consent, despite obvious bias or irrational judgment, from genuine, non-manipulative language that addresses his free and honest opinion. Such an approach may help in reducing the degree of control exercised by public speakers and writers over the masses.